خاتمة السنة الحادية عشرة

بحمد الله وشكره نختم السنة الحادية عشرة من سني المنار ، فهي وله الشكر الأمس ، والثناء الاوفى ، خير سنة مرت بنا ، نعدها فاتحة حياة جديدة لنا ولأمتنا ، فكأن تلك السنين العشر ، غير معدودة من العمر ، وكأن هذه السنة الاولى من العقد الثاني للمجلة ، هي الوحيدة الاولى من العقد الاول لها وللملة ، كيف لا وهي سنة حكومة الشورى والدستور ، ومحو آية ليل الظلم بآية العدل والنور ، فيرى القارىء هذا المجلد من المنار طافحا باخبار الدستور العثماني ، ومجلس المبعوثان والقانون الاساسي ، وأسباب ماحدث في الدولة العثمانية من الانقلاب ، وما كان من ضروب الاحتفال ، وذكر سياحة صاحب المنار في البلاد السورية ، وبعض ما ألقاه فيها من الدروس والخطب الدينية والسياسية ، بعد ان كان ذكر اسم المنار أو صاحب المنار ، يعد من اكبر الاخطار ، حتى كان بعض محبيه يشيرون اليه بلفظ النار . وسنلم في فاتحة السنة القابلة ، بتاريخ المنار في تلك السنين الخالية ، بما يفسر بعض الاشارات ، التي تقدمت في فواتح بعض السنوات ، ونشير فيها الى مستقبله في البلاد العثمانية ، ولا سيما في الولايات العربية ، حيث كان لا يقرأه الا بعض المستأذنين لشربه ، اذ كانت الاخطار تواثب من يطلع عليه او يتصل بصاحبه ، فصار شرعا بين المصلحين والجامدين ، والمنصفين والظالمين ،

ما انتقد على المنار في هذه السنة

لا اذكر وانا اكتب هذه الخاتمة في مدينة بيروت — انه انتقد على المنار شيء لم ينشر فيه الا ما كتبه الي بعض طلاب مدرسة الحقوق الخديوية ينكر فيه علي ما كتبته في الرد على من اقترحت بناء مدفن خاص بعظماء الرجال بمصر من انكار نصب التماثيل للموتى ، وما زعمته جريدة طرابلس الشام من أني طعنت في اهل طرابلس فيما كتبته عن سياحتي

نصب التماثيل للموتى

احتج علي طالب المحقوق بما كتبه الاستاذ الامام في رحلته الى صقلية من حكمة تحريم التصوير واتخاذ الصور والتماثيل، وانها قلع جذور الوثنية وسد الذريعة المفضية اليها · ويرى المنتقد ان هذا هو رأيي في المسألة وانني ما تشددت فيها أخيراً الا تثبيطا للذين دعوا المصريين الى الاكتتاب لنصب تمثال لمصطفى كامل لما كان بيني وبينه من الخلاف السياسي · ويرى هو ان اقامة تمثال لمصطفى كامل ولغيره مما يبيحه الاسلام اذ ليس فيه شبهة دينية · هذا مجمل ما كتبه المنتقد كما أتذكر · فاما ما ذكر من حكمة تحريم الصور والتماثيل فقد صرحنا به في المنار قبل نشر رحلة الاستاذ الامام (بلزم صقلية) بسنين · ولو تأمل المنتقد ذلك الرد الذي بنى عليه انتقاده حق التأمل لما كتب الينا حرفا مما كتبه فان ما ذكر من حكمة التحريم اوعلته لا ينقض شيئا مما كتبناه وكذلك ما كتبه الاستاذ الامام في رحلته لا ينقض قولنا بل يؤيده ، فقد صرح بأن المفتي لا يفتي بجواز التصوير ونصب التماثيل مطلقا

وههنا بين للمنتقد وامثاله مسألة مهمة يغفل عنها اكثر الناس وهي ان ما كان يقوله الاستاذ الامام من الآراء الاجتهادية وما ننشره من ذلك في المنار إنما نقصد به بيان حكم الاسلام وموافقته لمصالح الناس وافضائه الى سعادتهم ما تمسكوا به ودفع الشبهات التي ترد على أحكامه دون جعله مذهبا يقلدنا الناس فيه، الا من ظهر له الدليل على شيء فأخذ به لاعتقاده أنه هو الحق، فأولئك لا يكونون مقلدين لنا وإنما يكونون متبعين للدليل الذي قام عندهم لا يخرجهم عن ذلك كوننا سبقناهم الى ذلك الدليل وهديناهم اليه · فاذا فرضنا ان ما ذكرناه من حكمة تحريم التصوير ونصب التماثيل يقتضي إباحة نصب تمثال لمصطفى كامل — وهو لا يقتضي ذلك — وكان المنتقد معتقداً ذلك فهل يقول ان مسلمي مصر الذين دُعوا الى هذه البدعة قد اعتقدوا مثله إباحتها شرعا ؟ كلا · إنه ليعلم انهم يعتقدون حرمة ذلك الا نفراً ربما كان اعتقادهم كاعتقاده ، ومن دونهم آخرون قد مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية فهم لا يبالون ا كان ما وافق هواهم حلالا ام حراما !

المسلمون قسمان: الاول المقلدون الفقهاء وهم السواد الاعظم وفقهاء المذاهب الاربعة وهؤلاء يحرمون نصب التماثيل، أفليس من امنهائهم ان يدعوا دعوة عامة للعمل محرم عندهم ؟ والثاني المتبعون للدليل وإنما يعمل الواحد منهم بما يقوم عنده من الدليل فيما يتعلق بخاصة نفسه، وليس له ان يفتات على الجمهور بالعمل كأن يهدم المساجد التي على القبور لحظرها في الاحاديث الصحيحة، ولا ان ينصب لهم تماثيل فان ما يتعلق بالجمهور من شأن الحكام، ولكن له أن يبين رأيه بالدليل وان يدعو اليه وينا ظر المنكر عليه فان اقنعت دعوته الجمهور عمل بها وانما نحتج على المتقد بنفس ما احتج علينا به وهو حكمة تحريم التصوير ونحت التماثيل فنقول :

ان نصب تمثال لمصطفى كامل لا يخلو من المعنى الوثني الذي يعترف المنتقد بأنه علة حظر نصب التماثيل فان أخاه و بعض محرري اللواء غلوا في تعظيمه بالوطنية كما كان (رحمه الله وعفا عنه) يطري نفسه بذلك، فلما لم يلق غلوهم نقدا ولا اعتراضا جعلوه بعد موته قطبا من أقطاب الدين وغلوا في وصف صلاحه ومزاياه وتبعهم على ذلك بعض الشعراء الذين لا يزنون الكلام بميزان عقل ولا شرع اكتفاء بموازين العروض، وتبع هؤلاء من يتبعهم عادة فلم يمض على موت الرجل أيام معدودات إلا وصار له مثل ديني خيالي غريب، وصار بعض المارقين والجاهلين يقرنونه بالانبياء أو يفضلونه عليهم، وذكر أخوه في ترجمته انه ولد على غير الصفة التي يولد عليها البشر عادة! وانه ظهر له في طفوليته شيء من خوارق العادات كما ذكرنا ذلك في الرد على « باحثة بالبادية » التي اقترحت بناء مدفن لعظماء الرجال بمصر. أفرأيت من غلا حزبه فيه هذا الغلو، وجعله في هذا الأفق الخيالي من العلو، أيستغرب افتتان العامة بتمثاله في بلاد تلتمس فيها البركات، ودفع المضار وقضاء الحاجات، من نعل الكلشني و باب المتولي وشجرة الحنفي وعمود الرخام الذي في المسجد الحسيني وغير ذلك من الجمادات وكذا المائعات كزيت مسجد السيدة نفيسة و بعض الآبار العتيقة!!؟

لا أرى وجهاً في ذلك التعليل لنصب تمثال لرجل خلق له أخوه صورة دينية كصور أصحاب الآيات والخوارق، وأنشأ بعض الشعراء يخلع على هذه الصورة من

حلل الخيالات الوهمية والخرافية ما تجود به أقلامهم وتاهيك بجود الشعراء في الكلام!

ان كثيرا من الأصنام التي عبدت كانت تماثيل لأناس عظمهم قومهم تعظيما دنيويا ولما طال عليها العهد عبدت وصار يتوسل بها إلى الله أو تطلب منها الحاجات ، فسدّ الدين هذا الباب سدًّا محكما فهو لا يأذن لأحد بأن يتخذ صورة ولا تمثالا لاجل تعظيم صاحبه . ولا يقاس نصب مثل هذا التمثال على الصور والرسوم التي يستعان بها على العلوم كالطب والتشريح وعلم وظائف الاعضاء (Physiologie) أو على اللغة ليعرف الحيوانات التي وضعت لها الالفاظ من لم يكن رآها معرفة صحيحة لا شبهة فيها ، فان اكثر الكثير من كتب اللغة العربية في تفسيرها على المعرفة لا يفيد فاذا قيل: النسر طائر معروف والعقاب طائر معروف ولم يكونا معروفين عندك وان هذا هو النسر وهذا هو العقاب لا يفيدك قول اللغوي شيئا ، ولا يقاس أيضا على الصور التي يستعين بها الحكام على حفظ الأمن وتربية المجرمين . فأمثال هذه الأغراض الصحيحة من التصوير هي التي كان يقول الاستاذ الامام ان الاسلام يجعل عن تحريمها وأذكر انني ناظرت بعض علماء طرابلس فيها قبل هجرتي الى مصر وذكرت له خمسة مقاصد صحيحة للتصوير فوافقني على ما ذكرت من كون علة تحريم التصوير دينية وكون هذه المقاصد صحيحة لا يحرمها الشرع

انتقاد جريدة طرابلس

قرأ كثير من المنصفين ما كتبناه عن طرابلس قالوا انه بيان صحيح لحالها واعتذار عما رمي به أهلها من اللوم والذم لذنب اتاه شقي يوجد مثله في كل بلد . ولكن تلك الكتابة ساءت نفرا من الطرابلسية فهموا انهم هم المقصودون بمن أثروا من الرشوة وأكل أموال الناس بالباطل ، فأرادوا ان ينتقموا من الكاتب بتهييج أهل طرابلس عليه وإيهامهم انه أهانهم أجمعين! وبلغني انهم كانوا يطوفون على الأدباء ويطلبون منهم ان يكتبوا في الرد على المنار ووعدت جريدة طرابلس بأن تنشر ما يرد عليها من الرد!

واتفق ان رأيت مدير جريدة طرابلس بالقرب من المحكمة الشرعية فأخبرني بما ينكره المنكرون من عبارة المنار عن طرابلس وبأنه رد عليهم واعتذر عن المنار بقدر استطاعته مع انه موافق لهم في بعض ما انتقدوه لعدم اعتياد أهل هذه البلاد أن يسمعوا في الجرائد نقدا الا بقصد الذم والإيقاع . وعلمت منه ان أنكر ما نكروه هو حكاية قول من كتب الينا « أترك فيحاء الاشقياء » الخ وقال ما كان يجوز أن يكتب مثل هذا وان كان حكاية . فقلت لكننا نقلناه لنرده ونقول انه في غير محله . قال انهم يقولون انه طعن على كل حال لا يصح ان يذكر . فقلت وماذا تقولون في حكاية القرآن الحكيم للطعن فيه وفي النبي صلى الله عليه وسلم بمثل قوله عز وجل « وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً » وقوله تعالى « وقالوا إن هذا الا إفك افتراه » الخ ؟ فسكت .

قلت ثم ماذا ؟ فذكر ما كتبته عن الجمعية الخيرية العثمانية . قلت وهذا حكاية أيضا لم أقله من عند نفسي بل لم أكن حين كتبته أعرف من أعضاء هذه الجمعية غير من أشرت اليهم . وإن ما كتبته عنها هو أقل ما سمعته و يلقي ان جمعية الاتحاد والترقي ترى أن هذه الجمعية مقاومة لها وللحكومة الدستورية فكتابتي هذه وأنا من أنصار جمعية الاتحاد تصلح ان تكون دفاعا عن جمعيتكم أو تلطيفا لما يقال عنها عند اللجنة العليا لجمعية الاتحاد والترقي في الاستانة .

قلت ثم ماذا ؟ فذكر ان ما كتبناه عن الذين أقاموا المباني الجديدة في جهة التل يشعر بأنهم ما قدروا على ذلك الا بما أكلوه من الرشوة . فقلت ان هذا غير مقصود فأنا أعلم ان ثروة اكثر اصحاب هذه المباني قديمة وليست من جهة الحكومة . فاذا كانت عبارة المنار تدل على ان الذين بنوا القصور في جهة التل هم الذين أثروا من الرشوة في الحكومة فأنا أعترف بأنها لم تؤد مرادي اذ لم أرد ربط مسألة عدم وجود موارد جديدة للثروة في طرابلس غير الرشوة لبعض رجال الحكومة بمسألة العمارات في جهة التل والقبة على هذا الوجه وانما ذكرت ذلك بالمناسبة وسأراجع المنار

ثم ذكر مسألة عدم تقدم طرابلس في العلوم والتجارة وانه كتب في المنار بأسلوب فيه مبالغة وشدة في النقد لم تعوده سوريا كما تعودته مصر . قلت انه نقد صحيح

والغرض منه صحيح وهو ان ينبه أهل بلدنا الى مايجب عليهم لتدارك ماأصابهم في في الايام الماضية . وان ما كتبته الآن غير كاف لأنه إشارة جاءت بطريق العرض ولا بد ان نعود قومنا على الانتقاد الشديد في المصالح العامة ولا خير في الجرائد التي لا يكتب فيها الا المدح والاطراء ، لأجل الاستمالة والاسترضاء ، أو الذم والهجاء ، لأجل التشفي أو الايذاء ، واذا كان الناس هنا يشكون من مقال كتب لأجل الدفاع عنهم ، والرد على من أساء الظن فيهم ، فاذا يقولون اذا قرأوا مقالات طويلة في الانتقاد عليهم ، وبيان تقصيرهم في خدمة أمتهم وبلادهم ؟ ؟ وهل تكون الصحف مفيدة الا بمثل هذا الانتقاد ؟

هذا ماأتذكره مما دار بيننا وقال هو في خاتمة الكلام ماذا تأمر ان أكتب في العدد الآتي من طرابلس للتعجل من نشر مايريد نشره المنتقدون ؟ فاتفقنا على ان يكتب انني بينت له ان ما كتب في المنار لم يكن طعنا في أهل طرابلس بل دفاعا عنهم خلافا لما فهم بعض الناس وانني سأبين هذا في بعض أجزاء المنار . وقد كتب هو ذلك ونحن بيننا هنا المراد كما بيناه له وفاء بالوعد وجريا على سنتنا من نشر ماينتقد علينا

اختصار جملة الصلاة على النبي

ويلقي ان بعض الناس انتقد في المنار اختصار كلمة « صلى الله عليه وسلم » بحرف (ص) وزعم بعضهم عن غير بصيرة ولا استقراء ان هذا مطرد في المنار كلما ذكر النبي عليه الصلاة والسلام كما يطرد التصريح بكلمة « رضي الله عنه » كلما ذكر الاستاذ الامام ، والصواب الذي يراه القارئون للمنار اننا لا نذكر كلمة « رضي الله عنه » عند ذكر الاستاذ الامام مطلقا وانما نذكر في عنوان التفسير وهو سطر ثابت في المنار لا يتغير ، وأما جملة الصلاة فلا تكاد تذكر مختصرة بحرف (ص) إلا حيث تتكرر وكثيرا ماتذكر غير مختصرة . والاختصار يوفر شيئا من وقت الكاتب ومن الورق فيسع من الفوائد أكثر مما يسعه مع تكرار الجملة بنصها . وهي عادة طال عليها العهد في كتب المسلمين ولا سيما المطبوعة في الهند والاستانة . وكانوا يختصرون الجملة هكذا « صلعم »

فصار بعض الناس ينطق بهذه اللفظة لا بالجملة المختصرة حروفها منها فاستحسنت ان استبدل بها حرف (ص) . ورأيت في كثير من الكتب بدل (صلعم) حرفي «ع م» يعني عليه السلام كما يختصرون جملة «رحمه الله» بحرفي (رح) وجملة «رضي الله عنه» بحرفي (رض) والمقصود من الكتابة فهم المراد فلو أمكن اختصار كل الجمل بحروف يفهم منها المراد لما اختلف العقلاء في العمل بهذا الاختصار ولكن هذا لا يتأتى الا في بعض الجمل التي يكثر استعمالها . وقد اخترع الناس طريقة لاختزال الخط لأجل نقل الخطب وما يدور في مجالس الحكم والعلم من الفوائد وهي خاصة بمن يتعمدون لذلك كمحرري الجرائد

دعوة المنار الى الانتقاد عليه

اننا ندعو في هذه الخاتمة الى مثل ما دعونا اليه في فاتحة هذا المجلد من الانتقاد على المنار ولكننا لا نقبل نقدا مبنيا على ما يتقوله بعض الناس على المنار، ولا نقداً يخرج فيه المنتقد عن موضوع ما ينتقده من فقره ، وإنما نقبل الانتقاد على فقرة نقلت بنصها من المنار مع بيان صفحة المجلد التي نقلت منها والاستدلال على خطإها

طلب الاشتراك وقيمته

لا تزال قيمة الاشتراك على اصلها فاننا لم نزدها وان كانت جميع الاشياء ازدادت غلاء في هذا القطر . ولكن أمرا عالما نبهنا اليه ولا يزال الناس يذهلون عنه ذلك اننا صرحنا مرارا بأن المنار لا يبعث به الا لمن يبعث بالقيمة سلفا ، واننا لا ننقص من قيمة اشتراكه شيئا لأحد ما ومع ذلك فان الناس لا يزالون يسألوننا ذلك ! فنحن نكرر القول هنا كما كررناه مرارا بأن الادارة لا تجيب من يسألها ذلك مطلقا

هذا واننا نختم هذا المجلد بمثل ما افتتحناه به من ذكر الله والثناء عليه عز وجل ونسأل الله ان يلهمنا الصواب ويديم علينا نعمة الاخلاص ، وسلام على المرسلين ومن تبعهم بالهداية والاصلاح في الدنيا والدين ، والحمد لله رب العالمين .

منشئ المنار ومحرره

محمد رشيد رضا الحسيني